

صاعد النخيل مهنة لاتنقرض

حامد كعيد الجبوري

منتصف الخمسينات من القرن المنصرم صحت محلة الوردية من مدينة الحلة المحروسة، على اصوات نسوة يندبن (علوان) الذي سقط من نخلة باسقة، كان قد تسلقها بواسطة (التبليه) ومات، كنت احد الصبية الذين هرعوا لدار (علوان) فوجدت ان الخبر حقيقة واقعة، ولان ابن (علوان) الكبير (رحيم) صديق لي فقد تعاطفت معه كثيرا، رغم صغر سننا ولم نكن ندرك حقيقة الموت ونستوعبه جيدا.



هذه المقدمة البسيطة اجدها مدخلا للحديث عن هذه المهنة الخطرة ، والتي راح ضحيتها الكثير ممن يمارسها، ورغم ذلك فالمهنة متواصلة، اذ لا بديل عنها في الوقت الحاضر على اقل تقدير، ولان والدي رحمه الله يملك بستاناً بطارق الحلة الشرقية وقريب لمسكننا في (اطراف الوردية) الطرف يعني المحلة - لذا فانا واخوتي ووالدي نجيد استخدام (التبليه) لصعود او تسلق النخيل، ووالدي رحمه الله خبير بانواع واصناف التمر، ناهيك عن انه يعرف جنس النخلة من خلال اغصانها (سعتها) وقد اورثنا هذه المعرفة بها وبخبرة اقل منه. وهناك حادثة طريفة وقعت لي وانا بمراحل الدراسة الابتدائية الصف الثاني او الثالث عام 1959 لدينا نخلة باسقة جدا في بستاننا، ولانها باسقة ويطالها ضوء الشمس اكثر من النخيل الاخر، ومعنى ذلك ان تمرها سينضج قبل التمر الاخرى في بستاننا.

لذا كانت مغرية لي فترة الصبونة لتسلقها وجلب ماتمنحه لي من تمر ناضج ، ولم استخدم (التبليه) لصعودها بل اعتمدت على يدي وساقلي للتسلق، ملأت جيبني من تمرها الجني وهممت بالنزول الا انني لم استطع ذلك. حاولت وحاولت وكل محاولاتي فشلت للنزول ، امسك الطرف القوي وانزل رجلي لاضعها على احد (كرب) النخلة الا ان (الكربة) تتحرك تحت قدمي، ناديت والدي باعلى صوتي لينقذني من معضلتي هذه، حضر والدي تحت النخلة ليشجعني ويعلمني طريقة النزول المثلى، ولكني لم استوعب مايريد مني لخوفي الشديد من عقوبته اولا ومن السقوط ثانيا، اضطر والدي ان يجلب (التبليه) ويصعد لي وهو مغضب ويتوعدني بالعقاب، قلب له اني مستعد لعقابه ولكن انتظر نزولي، ضحك بوجهي والتقط قدمي ووضعا على (زند التبليه) ومرت بسلام.

هناك مفردات قد لايعرفها من لايزاول مهنة الفلاحة او صعود النخيل، واول هذه المفردات هي (التبليه) وهذه المفردة بابلية الاصل كما اثبت ذلك العالم الاثاري **طه باقر الحلي**، وكذلك الدكتور الاثاري **نائل حنون الديواني**، بان هذه المفردات انت لنا من البابليين وكانت تسمى لديهم (تابليو)، والتبليه تتكون من اقسام رئيسية اولها (الجفه)، وسابقا تصنع هذه (الجفه) من (ليف) النخيل ، وتتكون النخلة من الجذع والاطراف- السعف- والليف الذي يفصل بين طرف واخر، وتحاك (الجفه) من قبل النساء، وهي التي تحمي او تسند ظهر المتسلق للصعود، وحاليا تصنع من مادة الكتان اللون (الخاكي) لكي لا يؤذي

ظهر المتسلق وبنهايات هذه الجفه حلقتان تربط بهما طرفي الزند و (الزند) هو عبارة عن اسلاك حديدية ملفوفة مع بعضها تشبه سلسلة (سحب السيارات) وبطول متر وربع تقريباً ، بعد ان يلف الزند على ساق (جذع) النخلة ويربط



بواسطة حبل كتاني قوي ابيض اللون، ويربطه بشكل جيد كي لا يحل لاي طاريء ما، يبدأ (صاعود) النخيل بتسلق النخلة بحركات متناسقة دقيقة، فهو يقدم جسمه صوب الجذع ليتمكن من نقل (زند التبلية) ل(كربة) اخرى، مع ملاحظة رفع قدميه بالتعاقب بين (كربة) والتي تليها، و(الصاعود) عدته المهمة من سكين كبير تسمى (سجينة تكريب او تجريب)، وافضل هذه السكاكين تعمل من مخلفات المبارد التي تستخدم لحد السكاكين، وهي باهظة الثمن، يصنعها الحداد ويقوسها ويجعل لها شفرة حاداً جداً، وقد لا يمكن لصاعود النخيل انجاز مهمة (تكريب) او قص تمور البستان دون ان تشد هذه السكين لاكثر من مرة، ولكن اهل الصنعة (الصاعود) يحتاج لاكثر من سكين لانجاز بستان واحدة، وعلى الصاعود هذا ان يجلب معه (المنجل) لانه ربما سيحتاج اليه.

ويصعد النخيل مرتين اساسيتين بالسنة الواحدة، غير عملية التلقيح وعملية (التركيب) ونعني بها تدلية العثوق نحو الاسفل - واجمل عملية (التركيب) الطريقة الكريلائية، حيث تدلي العثوق دون ان توضع على اطراف النخلة لتسهل عملية (الكصاص)، المرة الاولى لجني محصول التمر بعملية (الفرعة)، او الاستئجار (للطواشين والطواشات) لقاء حصة قليلة من الناتج او اجر زهيد، وما أجمل تلك الاغاني التي تقال من قبلهم، ولكن اصحاب البساتين عامة يلجؤون لطريقة (الفرعة) حيث اليوم بهذا البستان واليوم الذي يليه ببستان اخر، بمعنى اننا ننجز مهمتنا بمساعدة عوائل اهل البساتين الاخرى، وهكذا وتتولى زوجة صاحب البستان او امه او بنته تقديم وجبة الغداء وماليه لضيوفها، وهي عبارة عن الخبز الحار وشيء من اللحم والدجاج والجيد من التمر طبعاً، وعملية قص العثوق تكون بداية الشهر العاشر وتستمر لنهاية الشهر الحادي عشر لتجنب الامطار التي تتلف الناتج، المرة الثانية لعملية (تكريب) النخيل وتكون هذه العملية بفصل الربيع حصراً، وسبب ذلك ان (كرب) النخلة قد شرب من ماء الامطار ان وجدت. او من عملية تكاثف البخار على الاطراف وبالتالي ستنزل هذه القطرات من (الخوص) صوب الكرب، ومعلوم ان (الكربة) الطريقة اكثر واسهل قصا من اليابس، وعملية التكريب شاقه ومتعبه تحتاج لقوة أذرع، ناهيك عن فنية عملية التكريب و(المكرجي) الجيد لايقص الاطراف الخضراء لان ذلك يؤول الى تشقق الكربة عند جفافها ، يضع (المكرجي) سكيناً بمنتصف الكربة ويسحبها بقوة نحوه ولمرة واحدة تقريباً ينزل مسافة صغيرة عن الشق الاول ويصنع شفاً ثانياً فيسقط جزءاً كمثرياً من الكربة يسمى (الجعب)، ثم بسحبتين او اكثر يكرره على المكان المقطوع فتقع (الكربة) بكاملها نحو الارض، ومرات يستعين بيده لخلعها من مكانها، مع ملاحظة هامة، فان كانت نتيجة القطع غير مسرحة الى الارض فمعنى ذلك ان صاحب هذه الصنعة رديء لان تتخلل داخل الكربة مما يؤدي الى خشعها بمعنى تشققها بسبب الرطوبة مستقبلاً- ملاحظة مهمة اخرى على (المكرجي) الجيد ان لا يأخذ اكثر مما هو مقرر من اطراف النخيل لان ذلك سيقفل من تعرضها للشمس، ومن ثم قلة غذائها بسبب التمايل الضوئي. وهناك من (يكرب) تخيله بغير هذه المدة ولكنه خطأ فادح.

أكرموا عمتم النخلة، هذا الحديث الذي أطلقه نبينا محمد (ص) لهذا الكائن النباتي العجيب، حيث ان كل الاشجار لها مخلفات قد لا يستفاد منه إلا النخلة التي يستخدم كل شيء فيها، وحتى (النوى) كعلف ذي قيمة غذائية عالية، ولقد رأينا وسمعنا ان هناك من قزم النخلة بتعامله مع جيناتها وراينا الاجهزة الحديثة التي دخلت بصناعة التمور كالسيارات الرافعة لغرض القيام بمهمات التلقيح والجني لثمار النخيل، وان اتسع لي المجال سأكتب عن انواع النخيل والتمور الجيد منها والنادر لاحقا بأذن الله.

ملاحظة: ارسل هذا الموضوع من قبل السيد فراس سالم خلف مأخوذ من جريدة لم يسميها وللاهمية اقتضى التنويه.

اعيد طبعا واضيف على المقالة الاصلية صورا لاغراض التوضيح من قبل الشبكة العراقية لنخلة التمر